

مدينة تنس ودورها التاريخي والاقتصادي بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط

The city of tennis and its historical and economic role
in the western basin of the Mediterranean in the Middle ages

حكيم علي عباس

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر

h.aliabbass@univ-chlef.dz

صالح هرويني

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر

s.herouini96@univ-chlef.dz

تاريخ النشر: 2022/05/15

تاريخ القبول: 2022/03/22

تاريخ الإرسال: 2022/03/08

1 حكيم علي عباس ، h.aliabbass@univ-chlef.dz

المخلص:

تعتبر مدينة تنس من بين أهم المدن الساحلية في المغرب الإسلامي؛ وذلك لموقعها الاستراتيجي الذي جعل منها ترتبط بالعديد من الطرق التي ساهمت في ربط المدينة وباقي الحواضر الإسلامية، وهو أمر الذي جعل منها محط أنظار الكثير من الدول التي تعاقبت على المغرب الأوسط، كما تجدر الإشارة إلى أن ميناءها قد أدى دور محوريا بالغ الأهمية يكمن في التبادل التجاري بينه وبين مدن المغرب الأوسط وأندلس.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة منذ تأسيسها في حدود سنة 262/876م إلى أواخر العهد الزياني، وكذا إبراز الدور الاقتصادي والتجاري لمدينة تنس بحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية:

مدينة تنس، المغرب الأوسط، الحواضر الإسلامية، التبادل التجاري، البحر الأبيض المتوسط

Abstract:

The city of tennis is considered one of the most important coastal cities in Middle ages, due to its strategic location, which made it linked to many corridors and roads that contributed to linking the city and the rest of the Mediterranean an cities witch its external surroundings, which made it the focus of attention of many countries that succeeded in north Africa.

It should also be noted that the port of tennis has played a pivotal and very important role in the trade exchange between it and the cities of north Africa and Andalusia hence, this study came to shed light on the historical events experienced by the region since its establishment in the boun daries of 262 AH ad to the end of the zayani era , as well as highlighting the economic and commercial role of she in the Mediterranean basin.

Keywords:

The city of tennis; Middle ages; the Mediterranean basin; exchange between; north Africa.

1. مقدمة :

إن الدارس لتاريخ مدينة تنس خلال العصر الوسيط يدرك وبوضوح الدور الكبير الذي أدته هذه المنطقة في مختلف الجوانب، إذ لم يقتصر على الجانب السياسي فحسب بل تعداه إلى العديد من الجوانب الأخرى، وبخاصة الجانب التاريخي والذي تمثل في مشاركتها في العديد من أحداث والوقائع التاريخية الهامة التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، وكذلك الجانب الاقتصادي المتمثل بشكل كبير في الدور التجاري الذي أدته المنطقة، وهو ما انعكس بشكل ايجابي على نمو وتطور المدينة، وهذا كله بفضل الميناء الذي أدى دورا فعالا في ربط المسالك التجارية بينها وبين واقعها ومحيطها الخارجي، وهكذا فقد ساهم هذا الأخير وبقسط كبير في نمو وتطور العلاقات التجارية الخارجية للمغرب الأوسط عامة ومنطقة تنس خاصة. فما هي أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة؟ وما الدور الاقتصادي الذي أدته في التجارة بين ضفتي البحر المتوسط؟

2. الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة تنس:

نظرا لأهمية البالغة التي يكتسبها الموقع الجغرافي للمنطقة، رأينا أنه من الضروري في بداية هذه الدراسة أن نقدم صورة مختصرة للموقع الطبيعي والجغرافي للمدينة تنس، حيث أطنب الكثير من الرحالة والجغرافيين في تحديد موقعها.

ومن خلال تتبعنا للمصادر المهمة التي أرخت لهذه المنطقة، نجد أن الإدريسي (ت562هـ/1162م) كان قد قدم وصف جغرافيا لها حيث يقول: " ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح وعلى ميلين منه وبعضها على الجبل وقد أحاط بها السور، وبعضها في سهل الأرض وهي مدينة قديمة أزلية عليها سور حصين وحظيرة مانعة دائرة بها... ولها في جهة الشرق واد كثير الماء... ولها أقاليم وأعمال ومزارع"¹.

في حين نجد أن ابن سعيد المغربي (610هـ/1286م) ذهب إلى تحديد الموقع الجغرافي، وكذلك الموقع الفلكي للمدينة حيث قال: " أول ما يلقاك منه مدينة تنس... وموضوعها حيث الطول ثمان عشرة دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، ولها نهر يأتيها من جنوبها وينصب في البحر بشرقيها وبينها وبين البحر ميلان... وعرض

البحر هناك إلى الساحل دانية من الأندلس نحو ثلاث مجاز ونصف وفي شرقيها مدينة الجزائر².

أما حسن الوزان (935/1554م) فقد بين الحدود الجغرافية للمدينة بقوله: مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط يحيط بها سور...³. وبعد استعراضنا لأهم أقوال الجغرافيين والرحالة الذين تحدثوا عن الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة تنس، نلاحظ بأن موقعها جاء مناسب للعديد من الشروط والعوامل التي تؤثر وتتحكم في تأسيس المدن: كأمن والهدوء وكذا ممارسة النشاطات الاقتصادية في رخاء بعيد عن الخوف وهذا ما توفر بالفعل في مدينة تنس.

3. تأسيس مدينة تنس:

إن موقع تنس الحصين ومرساها الطبيعي قد جلب إليها الأنظار منذ القدم، فالفينيقيون بعد تأسيسهم مدينة قرطاجنة، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد، تحولت أنظارهم بعد ذلك صوب الشواطئ الغربية الجنوبية للبحر المتوسط، وقاموا بإنشاء عدد من المراكز التجارية والبحرية فيها⁴، وكانت مدينة تنس إحدى هذه المراكز، وبذلك أصبحت مركزا ومحطة فينيقية تجارية هامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وكان تعرف باسم كارتيناس cartennas أو كارتينا cartennan⁵ واستمر أمر كذلك في العهد الروماني حيث بقيت المدينة أيضا كمستعمر رومانية⁶، واستطاع البيزنطيون من دخولها عن طريق البحر ولم يدخلوها عن طريق البر لتحصنها وأسسوا فيها مدينة وأحاطوها بالأسوار، وقد تعرضت هذه المدينة لسرقة والنهب في العهد الوندالي وذلك في سنة 428م⁷.

أما عن تأسيس مدينة تنس الحديثة فقد بناها البحريون من أهل الأندلس وكان ذلك في سنة 262هـ/879م⁸، وقد سكنها كل من أهل تدمير وأهل البيرة ومختلف المدن الأندلسية، حيث كان هؤلاء التجار يقيمون في فصل الشتاء قرب مرسى تنس عندما تتعذر عليهم حركة الملاحة البحرية، وذلك إلى غاية انقضاء فصل الشتاء ثم يعودون إلى الأندلس. وتذكر المصادر أسماء هؤلاء التجار الأندلسيين الذين فاوضهم سكان تنس أصليين حيث كان منهم: الكركدن، أبو عائشة، الصقر وصهيب وغيرهم ممن فاوضهم أهل تنس البرابر ورغبوا في

الانتقال والسكن معهم وأن يتخذوا قلعته سوقا مقابل ما يبذلون لهم من العون وحسن العشرة ويقطعونهم من أراضيهم لبنانهم فأجابوهم لذلك، وشرعوا في البنان والتأسيس لمدينة تنس الحديثة⁹.

4. تاريخ مدينة تنس:

ارتبطت مدينة تنس خلال هذه الفترة بجملة من الأحداث والتطورات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط، وكانت قبيلة زناتة من أهم قبائل المنطقة التي استقر فرعها مغراوة في تنس والمدن المجاورة لها مؤسستا كيانا سياسيا مستقلا عن حكام الولايات ومع بروز هذه الدويلات أصبحت تابعة لها ولم تحافظ على ممتلكاتها، كما أنها شهدت صراع كبير من قبل الدويلات التي قامت في بلاد المغرب الأوسط بهدف ضمها إلى ممتلكاتها¹⁰.

وكانت أولى هذه الدويلات هي دولة الأدارسة (172-311 هـ / 789-924 م) التي فرضت سيطرتها على تلمسان صلحا، وجعلوا مغراوة عاصمة للمغرب الأوسط بقيادة محمد بن سليمان الذي قسم ولايته على أبنائه¹¹، وكان والي تنس هو إبراهيم بن محمد بن سليمان، ثم تعاقب أبنائه وأحفاده من بعده على حكمها وهم محمد ويحيى وعلي¹².

وقد امتد نفوذ الرستميين (160.296 هـ / 776.909 م) إلى نطاق واسع ليشمل معظم المدن الساحلية بالمغرب الأوسط، ومن أهمها مدينة تنس التي جعلوها كمعبر لتسويق سلعهم ومنتجاتهم إلى بلاد أندلس¹³.

وبعد ظهور الفاطميين (296-361 هـ / 909-972 م) كقوة سياسية جديدة في بلاد المغرب الأوسط، ونجاحها في السيطرة على بعض الدويلات كالدولة الرستمية 296 هـ وبعد سنة من هذا التاريخ سيطرت على مدينة تنس¹⁴، لتضطرب بعده أمور بالمنطقة، وبعد أن انتقل الخليفة الفاطمي المعز إلى مصر استولي عليها بلكين بن زيري من صنهاجة، كم ملكها كبقية أمصار المغرب أوسط الأخرى¹⁵.

وخلال فترة حكم الحمادين (405-547 هـ / 1014-1153 م) التي تزامنت مع المرابطين (448-541 هـ / 1056.1147 هـ) كانت تبعية مدينة تنس تتأرجح بين هاته القوي، وبين الاستقلال إذ كانت في تلك الفترة تابعة لنفوذ قبيلة مغراوة، حيث جعلوا منها في عهد حمامة بن المعز بن عطية قاعدة لإعادة تجميع قوتهم وانطلاق نحو فاس لاسترجاعها¹⁶.

كما أكدت بعض المصادر على أنها كانت تابعة لدولة المرابطين، وذلك في عهد أميرها يوسف بن تاشفين (454- 500هـ/1062- 1106م) وكان هذا الأخير قد بسط نفوذه على ممتلكات قبيلة مغراوة التي كانت منطقة تنس تابعة لها¹⁷.

وقد نوه الإدريسي إلى أن المدينة خلال هذه الفترة كانت تابعة لبني حماد، وذلك على إثر حديثه على الطريق الرابط بين مدينة تنس والمسيلة عاصمة الحماديين، "والطريق من مدينة تنس إلى المسيلة، من بلاد بني حماد بالمغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس"¹⁸.

كما يجب الإشارة أيضا إلى الغارات التي تعرضت لها مدينة تنس خلال هذه الفترة، حيث تعرضت سنة 539هـ/ 1144م لغارة من قبل أسطول جنوة كما تعرضت إلى غارة أخرى من قبل البحرية النورماندية سنة 571هـ/1174م¹⁹.

أما في عهد الموحدين (541. 667هـ/ 1147. 1269م) فقد أصبحت مدينة تنس تابعة لها، وذلك بعد أن استطاع عبد المؤمن بن علي ضمها إلى ممتلكات الدولة، حيث اكتسبت أهمية تجارية كبرى وذلك لوقوعها على الطريق الرابط بين مدينتي بجاية ومراكش²⁰.

وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي خضعت مدينة تنس إلى حكم بنو منديل - وهم من أمراء مازونة- واستمر أمر كذلك إلى غاية قيام الدولة الزيانية (633- 962هـ/ 1236- 1554م) وأصبحت مدينة تنس خاضعة لها، وذلك بعد أن استولى عليها السلطان أبو سعيد عثمان (681- 703هـ/ 1283- 1304م) بعد أن سيطر على قبيلة مغراوة وقطع ملكهم، وبذلك أصبحت تنس تابعة لها²¹.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي شهدت الدولة الزيانية نزاع بين أفراد الأسرة على الحكم، وبذلك استقلت مدينة تنس عن السلطة المركزية وخضعت لأحد فروع المتنازعة في بادئ أمر، ثم حكمها شيوخ من المنطقة، وقد أثرت هذه الحروب العديدة التي شهدها المغرب الأوسط خلال تلك الفترة على منطقة تنس بشكل سلبي فيما تعلق بعلاقاتها الخارجية²².

وما يمكن إشارة إليه أن مدينة تنس تتأرجح بتبعيتها في فترات قصيرة بين دولة وأخرى، وقد بلغ هذا أمر أوجه في أواخر العهد الزياني، واستمر أمر على حاله حتى جاء عروج فاتحها لها متخذاً منها قاعدة أساسية لتوسع غرباً.

5. الطرق والمسالك التجارية المؤدية لمدينة تنس:

لقد اخترقت مدينة تنس شبكة من الطرق التي ربطتها بمختلف المناطق الداخلية والخارجية، والتي ساهمت وبشكل كبير في تفعيل المبادلات التجارية بين مختلف المناطق، ولقد أطنب الكثير من الرحالة والجغرافيين في الحديث عن هذه الطرق الرئيسية، كما بينوا مدي مساهمتها في تفعيل الحركة التجارية. وفيما يلي عرض لأهم الطرق المؤدية لمدينة تنس كما ذكرها هؤلاء الجغرافيين:

لقد تكلم اليعقوبي (ت284هـ) عن الموقع المميز لمدينة تنس، واعتبرها حلقة مهمة في الطريق البحري الذي يربط بين القيروان ومدينة تدمير الأندلسية. فيقول في ذلك: "ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس وهي على ساحل البحر الملح * فركب البحر المالح يسير فيه مسيرة عشرة أيام مسحلاً غير موغلاً، حيث يحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس بينه وبين تاهرت مسيرة أربعة أيام...²³، وهذا يدل على المكانة والدور الذي لعبته منطقة تنس في الربط بين مختلف مناطق الداخل والخارج.

أما البكري (ت487هـ) هو آخر تحدث عن الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة تنس فقال في ذلك: "الطريق من قلعة أبي طويل إلى مدينة تنس، يخرج من القلعة إلى مدينة المسيلة . . وتسير من مدينة المسيلة إلى نهر يسمى جوزة ومن جوزة إلى مدينة أشير وتسير من أشير إلى قرية تسمى بسوق هواره ومنها إلى قرية تسمى سوق كرام... ومنها إلى مدينة مليانة... أما الطريق من تنس إلى تيهرت خمس مراحل...²⁴.

وقد أشار الإدريسي (ت562هـ) أيضاً وكسابقه إلى الطرق التجارية العابرة للمنطقة وذلك في قوله: "والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل تخرج من تلمسان إلى قرية العلويين ... ومنها إلى قرية بابلوت مرحلة... ومنها إلى رحل الصفصاف مرحلة... ومن الرحل إلى أفكان مرحلة... ومنها إلى المعسكر مرحلة ومنها إلى مدينة يلل مرحلة...

ثم إلى مدينة غزة ومنها إلى مدينة سوق إبراهيم مرحلة... والطريق من تنس إلى المسيلة تخرج من تنس إلى بني وازلفن... ومن تنس إلى شلف مرحلتان²⁵.

كما تطرق أيضا المراكشي (ت647هـ) إلى ذلك من خلال حديثه عن المسافات الفاصلة بين مختلف المدن الساحلية حيث قال: "ومن الجزائر هذه إلى مدينة صغيرة تسمى تنس، أربعة مراحل، ومن مدينة تنس إلى مدينة وهران سبع مراحل"²⁶، وأشار أيضا على المدينة في موضع آخر على أنها بلدية من البلديات الواقعة على الطريق الذي يربط بين كل من بجاية ومراكش²⁷.

6. صادرات وواردات منطقة تنس:

ونعني بها المعاملات التجارية وتبادل السلع والبضائع بين منطقة تنس ومختلف المناطق المجاورة لها، والتي كانت تنتج محليا أو تستورد من الخارج، وقد كانت شبكة الطرق والمواصلات عاملا أساسيا ومؤثر إيجابي في سيرورة هذه الحركة التجارية. ولقد أطنبت المصادر الجغرافية التي أرخت لهذه الحقبة التاريخية في تعداد هذه المنتوجات سواء كانت فلاحية أو صناعية. وسنحاول في هذه النقطة التعرّيج على هذه المنتوجات.

6.1. صادرات المنطقة:

إن من أهم السلع والبضائع التي كانت مراسي المغرب الأوسط (موانئه) وبأخص مرسى تنس تصدرها نذكر مايلي:

لقد شكلت المحاصيل الزراعية نسبة كبيرة في التبادل التجاري بين مدينة تنس والضفة أخرى للبحر أبيض المتوسط وهذا راجع بنسبة كبيرة إلى وفرة الإنتاج الزراعي بأنواعه، وفي ذلك يقول صاحب الاستبصار: "... وهي كثيرة الزرع..."²⁸.

فعلى سبيل المثال إذا كان القمح يتصدر لائحة صادرات المنطقة باعتباره مادة أساسية في التجارة وقد أشار إلى ذلك عدة جغرافيين كابن سعيد المغربي الذي قال عن وفرة انتاج القمح بالمنطقة مايلي: "... وهي مدينة مشهورة بكثرة القمح، ومنها كان يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها..."²⁹.

ومن الفواكه التي كانت تشكل سلعا مهمة ورائجة في التبادل التجاري محصول التين والسفرجل الطيب المعنق، وهو ما أشار إليه الجغرافي ابن حوقل (ت367هـ) لدي حديثه عن الإنتاج الوفير للفواكه الذي اختصت به تنس فيقول في ذلك: " وبها فواكه حسنة... وبها من الفواكه والسفرجل المعنق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته"³⁰.

كما أشار الإدريسي أيضا إلى الفواكه منطقة تنس بمختلف أنواعها، وراح يعددها وذلك في قوله: " وبها فواكه وخصب وإقلاع وحط... وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة... وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في صفته وكبره وحسنه"³¹.

وتمت محاصيل أخرى كانت ضمن لائحة المنتوجات المصدرة عبر مرسى تنس نذكر منها مايلي: السكر، التمر، النبله، الشب، إضافة إلى النحاس وأكسية الصوف وأدوات سروج الخيل وكذا الخيول وأغنام. وغير ذلك من المواد التي كانت تصدر خلال تلك الحقبة³².

6. 2. واردات المنطقة

أما فيما تعلق بواردات المنطقة التي كان يستوردها بلاد المغرب الأوسط عن طريق مرسى تنس نجد في طليعتها مايلي: المصنوعات الفخارية والأواني الخشبية وأدوات الموسيقى والمصنوعات المعدنية ولاسيما منها المذهبية ومنها الوشي المذهب والبسط والزجاج³³.

إضافة إلى آلات الصفر والحديد والسكاكين وكذا الأمقاص المذهبية. وغير ذلك من الآلات العروس والجنود³⁴.

ومن جملة ما كانت يستورد عن طريق ميناء المنطقة، الكتان، وكذا الصمغ والزعفران والحريز، إضافة إلى الياقوت الأحمر والزئبق والكبريت وذلك مقابل المواد التي كانت تصدرها إلى مختلف المدن الأندلسية كتدمير وألبيرية وطليطلة...³⁵.

وهكذا فقد كانت أندلس المصدر الأول والرئيسي لأغلب ما يصنع من السلع، على الرغم من أن بلاد المغرب الأوسط قد شهد خلال تلك الفترة عملية تصنيع كبيرة، إلا أن هذا التصنيع لم يمنع من استيراد الكثير من المنتجات من بلاد أندلس وهذا راجع إلى التزايد الكبير والمستمر للعدد سكان المنطقة³⁶.

وما يمكن قوله في أخير أن مرسى تنس قد شهد رواج وحركة تجارية كبيرة وبخاصة مع أندلس، وهو أمر الذي أدّى إلى انتعاش الاقتصادي للمنطقة، إضافة إلى التطور الذي مس مختلف الجوانب العمرانية والاجتماعية.

7. الدور الاقتصادي لمدينة تنس:

لقد تبوّأت مدينة تنس مكانة استراتيجية وذلك بفضل مرساه، الذي كان يمثل همزة وصل بين ضفتي البحر المتوسط، حيث كان الطريق التجاري الذي يربط الدولة الرستمية بأندلس، كما لعب دورا هاما وذلك من خلال ربط بين الطرق والمنافذ بين الصحراء وأندلس عبر الجزر البحر أبيض المتوسط³⁷.

فالدولة الرستمية لم يكن لها طريق اتصال أو معبر استراتيجي إلى البحر المتوسط إلا مرسى تنس، وخاصة بعد سيطرت دولة الأغالبة (184-296هـ/800-909م) على معظم الموانئ الشرقية، أما فيما تعلق بمينائي تيبازة وشرشال فكان صغيرين، وإضافة إلى ذلك بعدهما النسبي على الساحل الشمالي للبحر المتوسط إذ ما قارناهما مع ميناء تنس³⁸.

وهكذا فقد وجدت الدولة الرستمية من أهالي وسكان مدينة تنس المساند الاستراتيجي الذي قدم لها كل التسهيلات للقيام بعمليات التبادل التجاري بينها وبين مجموعة التجار أندلسيين، الذين كانت سفنهم دائما ترسو في مرسى تنس وذلك طوال فترات السنة شتاء وصيفا³⁹.

بفضل مرسى تنس تطورت العلاقات الخارجية للدولة الرستمية التي ربطتها مع الضفة الأخرى للبحر المتوسط واستطاعت من إقامة علاقات قوية مع أموي أندلس.

وقد كان لموقع تنس المميز والقريب من الساحل الأندلسي عامل مهم وأساسي في جعل تجار أندلس وخاصة من أهل البيرة وتدمير يتخذونه كمكان للحماية من تقلبات الأحوال الجوية في فصل الشتاء، حيث كانوا يقيمون فيه أياما إلى غاية هدوء البحر وإمكانية الملاحة، وهكذا فقد كان التجارة الأندلسيون يقومون بالإبحار إلى سواحل المغرب الأوسط وبعد الإقامة بها مدة يعودون إلى موطنهم محملين بمختلف السلع في فصل الربيع⁴⁰.

كما تجدر الإشارة إلى أن الدور التجاري لمدينة تنس لم يقتصر على ربط المغرب الأوسط بلاد الأندلس فقط، بل تعداه إلى ربط بلاد المغرب كذلك بالمغرب الأدنى والأقصى، بإضافة إلى المشرق الإسلامي وكذا بلاد السودان⁴¹.

أما الأصطخري (ت346هـ) فعبر عن المكانة التجارية التي بلغتها مدينة تنس بقوله: "وأما تنس فهي مدينة كبيرة"، وهذا راجع بشكل كبير إلى الازدهار الاقتصادي الذي عرفته المنطقة، كما وضح علاقة مدينة تنس بأندلسيين من خلال قوله: "إنها عدوة إلى الأندلسيين" وهو ما يدل على ارتباط الوثيق بين مدينة تنس وأندلس، وذلك من خلال الممارسات التجارية التي كانت عاملا أساسيا في ازدهار المنطقة، كما أشار أيضا إلى أسواق المدينة الداخلية ومدي مساهمتها في تسويق سلع وموارد ومنتجات المناطق المجاورة وذلك عبر مرسى تنس⁴².

أما ابن حوقل فقد وصف مدينة تنس بالكبيرة، كما وضح أيضا جوانب التطور الذي شهدته المنطقة دون أن يغفل عن الحديث عن دورها ومكانتها في التجارة الخارجية وبخاصة مع أندلس، حيث يقول: وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها...⁴³.

وتحدث ابن حوقل أيضا عن دور المنطقة في التجارة الداخلية والخارجية، وذلك من خلال جلب السلع إلى أسواقها وهو ما أدى إلى الانتعاش الاقتصادي وفي ذلك يقول: "ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة"، وتكلم أيضا عن عائدات النشاط الاقتصادي ومدى مساهمتها في تسيير شؤون المدينة في قوله: "ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة، كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلية إليها والخارجة والصادرة والواردة"⁴⁴.

وهكذا فقد عرفت المنطقة خلال هذه الفترة ازدهارا اقتصاديا كبير تجسد في حركة المبادلات التجارية وبخاصة مع بلاد أندلس.

وقد ذهب ياقوت الحموي (ت622ه/1225م) في حديثه عن منطقة تنس إلى التطرق إلى الموازين والمكايل التي كانت تستخدم في الأسواق تنس حيث قال: " وكي لهم يسمي الصفحة وهي ثمانية وأربعون قادوسا والقادوس ثلاثة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، ورطل اللحم عندهم سبع وستون أوقية ورطل سائر الأشياء اثنتان وعشرون أوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم وعدل بوزن قرطبة، والجاري عندهم قيراط ورابع درهم وحبثان مضروبة كلها، ودرهمهم اثنا عشر صقلية عددا⁴⁵.

وقد تحدث عن مرسى تنس وما يقابله في الجهة أخرى من أندلس حيث قال: " ويقابل مرسى تنس من بر أندلس شنب بول sant pola⁴⁶.

وقد أشار الحميري (ت900ه/1495م) إلى مكانة مرسى تنس ودوره في تسويق منتجاتها وذلك في قوله: "وتخرج عنها إلى كل الأفاق في المراكب . . .⁴⁷، وفي عهد الدولة الزيانية كان مرسى تنس يستقبل العديد من السفن التجارية المغربية والأندلسية وكذا الأوروبية، وهو ما ساهم في ازدهار مدينة تنس⁴⁸.

أما مؤلف صاحب الاستبصار فقد تكلم عن الجانب الاقتصادي للمنطقة، وأشار إلى الرخاء الاقتصادي الذي عرفته مدينة تنس خلال تلك الفترة عندما قال: "فأصبحت السلع رخيصة الأسعار"⁴⁹، وهذا إن دل إنما يدل على وفرة الإنتاج، وكذا الرفاهية الاقتصادية التي شهدتها المنطقة، كما أن الاقتصاد الذي عرفته المنطقة كان عاملا أساسيا والسبب المباشر في شهرتها.

أما ابن بطوطة (ت779ه/1377م) فقد أشاد بدور مرسى تنس ومدى مكانته في ربط الاتصال مع مدن ما وراء البحر، حيث كانت ترسو فيه معظم السفن القادمة من الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط⁵⁰.

8. الاستنتاج:

خلصت هذه الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات التي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

أوضحت الدراسة الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة تنس منذ ميلادها سنة 262هـ/879م، من خلال تتبع مسيرتها الحافلة بالكثير من الوقائع التاريخية وذلك إلى أواخر العهد الزياني، مع إبراز أهم التغيرات التي طرأت على المنطقة وتأثيراتها بها.

لقد أدى الموقع الاستراتيجي لمدينة تنس دورا هام في تأسيس المدينة وتطورها عبر التاريخ، حيث كانت تمثل مركز عبور بين مختلف المناطق الداخلية لبلاد المغرب الأوسط وكذا المغربين الأدنى والأقصى بإضافة إلى بلاد السودان.

أكدت الدراسة أن مدينة تنس كانت من أهم مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وذلك نظرا للعديد من الخصائص والمزايا التي كانت تتوفر عليها دون غيرها من المدن الأخرى.

كما كشفت الدراسة عن الدور الاقتصادي والتجاري الهام الذي أدته المدينة، حيث كانت تلعب دور الوسيط التجاري بين مختلف الحواضر الإسلامية، وذلك بفضل ميناءها، فضلا على الأمن والاستقرار الذي عرفته المنطقة وبخاصة في القرون الأولى لتأسيسها، إذ تراجع نشاطها التجاري في أواخر العهد الزياني وذلك بفعل الحروب التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط إضافة إلى تحول قاعدته إلى مدينة الجزائر التي أضحت معبرا أساسيا لنشاط التجاري بين ضفتي المتوسط، وهو ما أدى إلى تراجع دور المدينة.

9. الخاتمة:

وفي أخير يجب أن ننوه بالمكانة التاريخية والحضارية لمدينة تنس في العصر الوسيط، ولهذا وجب القيام بالعديد من الدراسات وبخاصة الدراسة الميدانية لمنطقة تنس، وذلك بغية الكشف عن تاريخ المنطقة حتى يصبح ميدانا خصبا للباحثين المهتمين بتاريخها.

10. الهوامش:

- 1 - أبي عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، ج1، 2002، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص251-252.
- 2 - أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح. إسماعيل العربي، ج2، 1970، ط1، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ص36.
- 3 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، 1983، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص35.
- 4 - محمد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، 1982، ط2، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 101.
- 5 - بن نعمان إسماعيل، 2006-2007، **مدينة تنس " دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3_13هـ/ 9_19م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص20.
- 6 - مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص364.
- 7 - موشموش محمد، 2008-2009، **مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية. أثرية. معمارية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، ص21.
- 8 - محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، 1984، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، ص138.
- 9 - أبي عبيد البكري الأندلسي، **المسالك والممالك**، تح. أدريان فان ليفون أندري فيري، ج2، 1992، المؤسسة الوطنية لترجمة والتحقيق والدراسات، ص726.
- 10 - بن نعمان إسماعيل، **المرجع السابق**، ص21.
- 11 -المرجع نفسه.
- 12 - عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح. خليل شحادة، ج4، 1988، ط2، بيروت، دار الفكر، ص24.
- 13 - الحبيب الجحاني، 2005، **المجتمع العربي الإسلامي "الحياة الاقتصادية والاجتماعية"**، عالم المعرفة، الكويت، ص139.
- 14 - سامية مصطفى مسعد، 2000، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، ص68.

- 15 - مطهري فطيمة، جانفي 2007، مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبرها إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة الفرطاس، ع3، ص150.
- 16 - الهادي روجر ادريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، تر. حماد الساحلي، ج2، 1992، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص114.
- 17 - موشموش محمد، المرجع السابق، ص51.
- 18 - الإدريسي، المصدر السابق، ص254.
- 19 - بن نعمان إسماعيل، المرجع السابق، ص32.
- 20 - موشموش محمد، المرجع السابق، ص54.
- 21 - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص86.
- 22 - مطهري فطيمة، المرجع السابق، ص150.
- 23 - أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، ج1، 1918، النجف، المكتبة المرتضوية ومطبعها الحيدرية، ص111.
- 24 - أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص725.
- 25 - الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 250-253.
- 26 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تع. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، 1949، ط1، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ص353.
- 27 - بن نعمان إسماعيل، المرجع السابق، ص91.
- 28 - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع. سعد زغلول، 1985، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ص133.
- 29 - علي بن موسى بن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص36.
- 30 - أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ج1، 1992، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص78.
- 31 - الإدريسي، المصدر السابق، ص252.
- 32 - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تع. محمد الحاج صادق، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ص113.
- 33 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تع. إحسان عباس، ج1، 1978، بيروت، دار صادر، ص201.
- 34 - المصدر نفسه، ص202.
- 35 - مطهري فطيمة، المرجع السابق، ص152.

- 36 - عبد الواحد ذنون طه، 7-8 ديسمبر 2009، التبادل التجاري بين الموانئ الجزائرية والأندلس في القرنين الخامس والسادس للهجرة، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا"، جامعة الجزائر 2، ص 421.
- 37 - عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 1982، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص 491.
- 38 - الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 139.
- 39 - موشموش محمد، المرجع السابق، ص 25.
- 40 - أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص 724.
- 41 - مطهري فطيمة، المرجع السابق، ص 152.
- 42 - أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري، مسالك والممالك، 1927، لندن، مطبعة بريل، ص 38.
- 43 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.
- 44 - المصدر نفسه.
- 45 - أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 727. وشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج 2، بيروت، دار صادر، ص 48.
- 46 - البكري، المصدر نفسه، ص 48.
- 47 - الحميري، المصدر السابق، ص 138.
- 48 - لطيفة بشاري، 7-8 ديسمبر 2009، النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا"، جامعة الجزائر 2، ص 434.
- 49 - مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 133.
- 50 - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، بيروت، دار الشرق العربي، ص 508.

11. قائمة المراجع:

(أ) المصادر:

- 1- ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، بيروت، دار الشرق العربي.
- 2- البكري أبي عبيد، المسالك والممالك، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج2، 1992، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 3- الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، 1983، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 4- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تح. محمد الحاج صادق، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
- 5- ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، 1992، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.
- 6- الحموي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
- 7- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، 1984، ط2، بيروت، مكتبة لبنان.
- 8- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، ج1، 1918، النجف، المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية.
- 9- المقرئ أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، ج1، 1978، بيروت، دار صادر.
- 10- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، 1949، القاهرة، ط1، مطبعة الاستقامة.
- 11- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول، 1985، الدار البيضاء، دار النشر المغربية.

12- ابن سعيد علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تح. اسماعيل العربي، 1970، ط1، بيروت، منشورات المكتب التجاري.

13- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر.

14- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح. خليل شحادة، ج4-ج7، 1988، ط2، بيروت، دار الفكر.

15- الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، 1927، لندن، مطبعة بريل.

(ب) المراجع

16- الهادي روجر ادريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، تر. حماد الساحلي، ج2، 1992، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

17- مسعد مصطفى سامية، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الاموية، 2000، ط1، الاسكندرية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

18- الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

19- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 1982، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

20- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، 1982، ط2، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

(د) المقالات:

21- بشاري لطيفة، 7-8 ديسمبر 2009، النقل البحري في امارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا"، جامعة الجزائر2.

22- الجنحاني الحبيب، 2005، المجتمع العربي الإسلامي "الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مجلة عالم المعرفة، العدد 319. المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

23- مطهري فاطمة، جانفي 2017، مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبورها إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة القرطاس، العدد الثالث.

24- ذنون عبد الواحد طه، 7-8 ديسمبر 2009، التبادل التجاري بين الموانئ الجزائرية والأندلس في القرنين الخامس والسادس للهجرة، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، جامعة الجزائر 2.

ج) الرسائل الجامعية

25- موشموش محمد، 2008 - 2009، مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية. أثرية. معمارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر.

26- بن نعمان اسماعيل، 2006 - 2007، مدينة تنس: دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-13هـ / 9 - 19م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص آثار إسلامية، جامعة الجزائر.